

سيد محم صالح

## أَلْحَانُ مَائِيَّةِ الْإِيْقَاعِ

شعر

سيد محم صالح

أَلْحَانُ مَائِيَّةِ الْإِيْقَاعِ

شعر

لَمْ تَبَقْ غَيْرَ الذِّكْرِيَّاتِ شَوَائِطِي...  
أَمْشِي إِلَيْهَا مُتَقَلِّبًا  
حَتَّى أُدْخِنَ بَعْضَ أَوْجَاعِي  
بَعِيدًا عَن قَنَادِيلِ الرَّصِيفِ  
وَعَن مَمَرَاتِ الْكَلَامِ

زُهِدًا بِإِسْفَاقِ الْبِشْرِ  
فَلْيَسْجِزِ الْغَدُ قَاسَهُ لِي  
وَلْيَعَانِدْنِي كَمَا شَاءَ الْقَدَرُ...

**سيد محم صالح** كاتب وشاعر موريتاني، عضو في العديد من الأندية والهيئات الثقافية، شارك في عدة مهرجانات ثقافية وأحى العديد من الأماسي الشعرية، حاصل على المركز الرابع في مسابقة شاعر الياسين المنظمة من طرف أمناء جائزة الشيخ أحمد ياسين للحريات الدولية وحقوق الإنسان للعام 2019م، حاصل على المركز الأول في مسابقة (لفلسطين قصة) المنظمة من طرف الملتقى القطري للمؤلفين 2020م، ديوانه (ذاكرة الرقص) حاز على المركز الثالث في مسابقة النغري للشعراء الشباب 2020م، ديوانه «ألحان مائية الإيقاع» حاز على المركز الثاني في مسابقة أفضل كتاب غير منشور في المجال الأدبي (الإبداع والدراسات) المنظمة من طرف دار الشرق بالتعاون مع الملتقى القطري للمؤلفين 2022م، حاصل على المركز الأول في المسابقة الشعرية «فصبح الجامعة» التي نظمتها قسم الثقافة والفنون - إدارة الأنشطة الطلابية بالتعاون مع قسم اللغة العربية-كلية الآداب و العلوم بجامعة قطر. له ديوانا شعر مطبوعان «ذاكرة الرقص» و«ألحان مائية الإيقاع» ومخطوطات لأعمال أدبية أخرى لا زالت تتلمس طرق العبور.



أَلْحَانُ مَائِيَّةُ الْإِيْقَاعِ

الناشر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع جريدة / الشرق  
الطبعة الأولى

تصميم وإخراج: أحمد محمد حنفي

رقم الإيداع القطري: 2022 / 594

رقم الترخيم الدولي للكتاب ISBN: 9789927145957

جميع الحقوق محفوظة

(لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من المؤلف).

طبع في  
مطابع  
الوراق  
ALWARAQ  
PRINTING PRESS



# أَلْحَانُ مَائِيَّةِ الْإِيْقَاعِ

شعر

سید محم صالح



في حَضْرَةِ اللَّحْنِ يَمْضِي دَخَانُ الْوَقْتِ سَرِيعاً، عَابِراً جُغْرَافِيَا  
اللَّامَحْسُوسِ، تَارِكاً جِرَارَ خَيَالَاتِنَا فَارِغَةً إِلَّا مِنْ إِنْسَانِيَّتِهَا، نُحَلِّقُ  
مُجْتَازِينَ عُصُوراً ضَوْئِيَّةً، غَارِقِينَ فِي تَسَاوُلَاتِنَا الْوَجْدَانِيَّةِ،  
مُوزِعِينَ طَبَقَ الْمَجَازَاتِ عَلَى أَفْوَاهِ اللَّحْظَاتِ.

نَتَلَمَّسُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي مِنْ حَوْلِنَا مُشَكِّلِينَ مِنْ إِيقَاعِهَا صُوراً  
مُكْتَمَلَةً الْأَبْعَادِ.

نُفَصِّلُ أَثْوَابَ رُؤَانَا، نُعَطِّرُهَا وَنَرْتَدِيهَا بَيْنَ السُّطُورِ، لِنَخْلَعَهَا  
بَيْنَ صَفَحَاتِ الْكُتُبِ، حَافِرِينَ بِهَا قَنَوَاتِ لِرِيِّ ظَمَأِ الْعَابِرِينَ.

سيد محم صالح



# إِهْدَاءٌ

إلى مَنْ شَجَّرَا طفولتي عطفًا وحنانًا وسقيا زهرة شبابي  
صحبةً وإحسانًا إلى أبويَّ الحبيبين.

إلى مَنْ وَزَعُوا أطباقَ المحبة على أفواهِ لحظاتِ حزني  
وفرحي، إلى الأصدقاء والصديقات...

وإليك أيها القارئ - أغصان حروفي تدلت ثمارها يانعة  
شهيّة - يا من كنت ولا زلت وستبقى رهاني الأول والأخير.





دراسة مقارنة في ديوان «ألحان مائيّة الإيقاع»

للشاعر/ سيد محم صالح

من إعداد الأستاذ والشاعر الموريتاني/

كمال الدين الحسن



على موسيقى من شعرٍ ولدت «ذاكرة الرقص» سابقا، ووفق نفس التيمة التخيلية التي تحكم العنوان بوصفه المنفذ الوحيد إلى الديوان جاءت هذه المجموعة «ألحان مائئة الإيقاع» متشكّلة مؤخراً بمثابة مقامات فنية يطبعها الشعر بطابع إنسانيّ جماليّ. وإذا ما وضعنا في الحسبان أنه لا لذّة للحياة من غير الفنّ، ولا إمكانيّة لأيّ وجود للإنسان من دون أن يشعر بذاته ويتفاعل مع العالم والكون بقلبه مجسّدا أحاسيسه العاطفيّة في صور جماليّة خلّاقة، وبطبيعة الحال قد وُجد الشعر مقترنا بالذواخل ولصيقا بكوامن النفس وخفايا الدّهن، ومن هذا الباب تتناول هذه الدراسة المصغّرة هذا العمل الموسوم «بألحان مائئة الإيقاع» تناولا وصفيّا تحليليّا متّخذة من بعض نصوصه أمثلة للمقاربة ونماذج للإسقاط.

وفي بادئها يجدر بنا التنويه إلى أن هذا العمل الشعريّ يتفق مع سابقه في الكينونة الأدبية والتركيبة التخيلية؛ والتي نعني بها الماورائيات الشاعرية المتحوّلة في عديد النصوص ذات المواضيع المتباينة والمستويات المتجانسة، كما ننوّه إلى أنه من الأعمال الشبابيّة الحاصلة على وصافة المنافسة وفق المعايير المخصّصة للمسابقات الأدبية العربية للمجموعات الشعرية، وهذه الندرة التي يتفردّ بها الشاعر سيد محم صالح في حصول عمليّن متتاليّين من أعماله الوليدة خلال زمن قصير على صدارة

المسابقات التي تعتبر الكلمة الفصل فيها للحرف وحده ، فقد تصدر عمله السابق «ذاكرة الرقص» لأتحة الأعمال المتنافسة على جائزة النفري للشعراء الشباب 2020م فائزا بالمرتبة الثالثة، بينما حصد عمله الذي بين أيدينا «ألحان مائة الإيقاع» المرتبة الثانية في مسابقة أفضل كتاب غير منشور في المجال الأدبي (الإبداع والدراسات) المنظمة من طرف دار الشرق بالتعاون مع الملتقى القطري للمؤلفين 2022م.

### مستوى الشكل:

يختزن العنوان الذي هو العتبة الأولى للولوج إلى عالم الديوان نزعة أصيلة تنجح إلى اللحن والإيقاع وذلك لعلاقة الشاعر القوية بالقالب العمودي غير أننا ونحن نستمر في قراءته ندرك حجم وعيه بماهية الشعر التي لا تتحدد في نمط معين بل تكمن في ما هو شعر شعر فقط

وذلك يبرز في تعدد الأشكال الهندسية التي تخللت البنية عموما إذ نجد خصوصا تتزح بين عدة قوالب في حين نجد أخرى تتدرج ضمن نظام السطر الواحد وهي تلوينات استخدمها شعراء الحدائة متفاوتين في استثمارها في حين أن الشاعر سيد محم صالح كان يترك للشعر فسحة لاقتراح القالب فهو يؤسس لعوالمه الشعرية ويثير تساؤلاته حول العالم مستعملا أدواته وتقنياته التي توفرها طاقته الشعرية الهائلة.

## مستوى المضمون:

لا أعتقد أن انتقاء عنوان هذه المجموعة بتلك الصيغة المركبة اختيار اعتباطا؛ بل ثمة علاقة عميقة بين الشاعر والموسيقى وبينه والماء جعلت من تلقيهما مسألة قارة في وجدانه، وذا شأن الإنسان في كل الأزمنة والجغرافيات، والإنسان العربي بصفة أخص عبر تاريخه الطويل ظل مفتونا باللحون ومتأثرا بالإيقاع في مختلف الأشياء من عدو الخيل وجري الإبل وانهمار المطر، ومولعا بالبحث عن الماء في الصحراء والإقامة حيث تتفرع الأنهر وتتفجر الأعين، وهذه الثنائية التي تحكم ذهنية الشاعر من المحتمل أن تكون نابعة من ذاتيته العربية أولا، ورمزية واقعية الإنسان العربي الحديث المفتش عن الحياة حيث تمتد خريطته العطشى إلى المياه منذ حقب كثيرة.

«قَدْ لُوْحَتْ كَفَّاهُ لِلْجُودِيِّ مَا

إِنْ لَامَسَتْ لُجْجُ السَّرَابِ بَنَانَهَا

...

مَا بَالُ هَذَا الْأَرْضِ كَيْفَ تَتَأَبَّتْ

لَمَّا عَلَا طُوفَانُهَا إِنْسَانَهَا؟»

تفجر هذا التساؤل مثلما تتفجر سحابة ثقيلة فوق مفاظات يابسة الأحشاء، لم يكن هذا السؤال الملح في النعاس قادمًا من

شعور متبلد أو قلب متعود على حياة مخضلة بغير السراب، إن «حجرة الفراغ» التي ينتمي إليها البيتان لفحة من فيح الاغتراب الروحي واحتراق من طول الانتظار وعاصفة من الفراغ المتوغل في جسد الأوطان، وإن رمزية الجودي المشبعة بالغرق والمحيلة إلى العبور البشري في السفين من جديد قد تشخذ الصور الدلالية للقصيدة بجملة من المعاني المتعكسة مع بعض.

«سُنُّنُ الْغِيَابِ تَعِيسَةٌ مَا أَبْحَرَتْ  
إِلَّا لِتُغْرِقَ بَغْتَةً رُكْبَانَهَا !  
سَفَرٌ يُشْكَلُهُ الضِّيَاعُ خَرِيطَةً  
لِتُعِيرَهُ أَقْدَامُنَا خِذْلَانَهَا»

يبدو أن وحش الغربة ملق بأجنحته الثقيلة على كاهله والأرض المتتأبئة متعبة من امتطاء طوفان افتراضي لجمجمتها، والسفن المحملة بالتعاسة منذورة للغرق براكبيها، والسفر الضائع في أصابع الخريطة معار للخذلان من أرجل العابرين بحثا عن وطن مستقر، فالاغتراب القاتل ينهش مخيال الشاعر والقمامة الدهماء تغطي أفق احتماليته وقد يكون ربما لذلك ما يبرره إن أخذنا بالسياق التاريخي الذي يلف الإنسان اللاجئ كرها وطوعا.

«قَدَرُ الزَّوَايَا أَنْ تَظَلَّ حَبِيبَةً  
يَرْتَادُ هَاجِسُ شَاعِرٍ جُدْرَانَهَا

إِنْ خَانَهُ الْإِبْحَارُ يَوْمًا...

فَالْقَصِيدَةُ

لَنْ تَخُونَ لِلْحَظَّةِ مَنْ كَانَهَا»

إن صداقة العزلة التي يراها الشاعر قدرا محبباً لارتياح ما ينوء به من مخاوف ووساوس وشكوك وريب تتلاطم في لجج ذهنه المتفجر بالوحدة في الهروب إلى الشعر باعتباره الملاذ الأخير لإفراغ ما حُمّل من حبٍّ مُخَيَّبٍ وخيبات متعمّدة وغرية ضاربة في القسوة، واعتقاده بأن اللغة هي المنفى الذي لا تقصر جدرانها المغلقة عن استيعاب الفارين من صخب الدواخل المعتلجة والخذلان المتراكم.

ولربما أسهم في هذه الحدة الوضع الاغترابي القسري الذي أجبرت الظروف المنفي من أحشاء أمّه خوضه بكل هذه الحرقلة المتفاقمة.

وقد تفسر القصيدة الموالية ما غمض علينا مثيرة ما انطوت عليه «حنجرة الفراغ»، فحين يصيح شاعرنا محتطبا لموقد السؤال:

«تَدُورُ خَلْفَ جِدَارِ اللَّيْلِ أَسْئَلُهُ

فَهَلْ لَهَا مِنْ شِفَاهِ الصُّبْحِ أَجْوِبَةٌ ؟

كَانَ انْتِظَارِي يَلْفُ الصَّمْتُ أَحْرَفُهُ

وَفِي فَمِي مُفْرَدَاتُ الْمَاءِ أَضْرَحَةُ !»



ما يميز هذا النص بعده الفلسفي العميق، فالبحث عن الإجابة حالة وجودية ذات مغزى مثير للأسئلة ومحركة لشهوة الفضول، إضافة إلى التصوير الفني المكتف بالأخيلة، فجدار الليل رمز يستحق التفكيك إذا ما عملنا بمعايير «جاك دريدا» المعتبرة أن أي تعبير لغوي ليس المقصود به ما تمّ توليفه بسلسلة نحوية؛ بل إن الصور التي يشكلها هذا التركيب تفكك شبكة علاقات موازية أكثر تعالقا بشبكات أخرى لامتناهية، ووفق هذا الرأي قد نتناول هذا النص المركب من نصوص عميقة متقابلة تتاولا مقتضبا باحتساب أن جدار الليل والأسئلة والأجوبة المضافة إلى شفاه الصبح، وثم الانتظار الملفوفة لغته بالصمت، والمعجم المائي المحال إلى العدمية، بالرغم من رمزية الماء المجسدة للحياة والاستمرار، هذا التصوير المعقد لم يكن عن حالة اعتباطية، ولا وعي متعمد؛ بل هي مرحلة من الهذيان الشعري التي يزاحم فيها خيال الشاعر مرايا الفلسفة ويهيمن لاشعوره المشرد على الذاكرة المشوّهة بالعطش الوجودي المستحيل الارتواء.

وللوجودية علاقة لا تتفكك مع الصوفيّة؛ إذ أنّ جوهر التصوّف مرتكز على الأبعاد الكونية الكبرى، ولا يتبرأ أشدّ المتصوّفة من غموضهم المغلف بالتأويل المتضادة، وما ذلك إلا وعي فلسفي مطبوع ببصمات دينية مختلطة، ولقد أفصح شاعرنا في «تلويحة من نافذة الفجر» عن شديد الإخبات ورقيق المناجاة مفتتحا:

«نُفُوسٌ إِلَيْكَ اللَّيْلَ كَانَ رَكُوبُهَا  
وَلَيْسَ مَدَى إِلَّا إِلَيْكَ هُرُوبُهَا

...

حَقَائِبُهَا مَلَأَى بِحُبِّكَ سَيِّدِي  
سُرُوراً بِنَجْوَاكَ اسْتَحَالَتْ كُرُوبُهَا»

حدث تناصّ دلاليّ جليّ المعنى بين المتن والنص القرآنيّ من الآية الكريمة في سُورَةُ الدَّارِيَّاتِ: (فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَدِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾).

فالفرار هو نفسه الهروب، وإن كان توظيفه للهرع جاء بدافع الحب والعشق، لا بدافع الخوف والارتعاب، وربما تتكى المدرسة الصوفية في مقاربتها الدينية للعبادات كلها على خلفية المحبة قبل الخشية، معتبرة أن المحبة باعثة على جميع تلك المشاعر الأخرى، وقد لا يكون شاعرنا مدركا وقد يكون لهذه الصدفة الجميلة، ولا أبرئ من يشعر ويستشعر ويحس ويتحسس من إحاطة بهذا الجانب، فالشعراء أشدّ الناس تصوّفا لصفاء قلوبهم ورقة أرواحهم.

ويحلّ العيد في ديار الغربية والبلاد الأمّ نائية وشاعرنا غير قريب من الحقول وبناتها والحيّ وأطفاله ومسنّيه، الذاكرة الريفية التي ألفها في أعياده وأفراحه السابقة ليست هي التي

يعايش اهتزازاتها اليوم مخاطبا العيد ومتسائلا:

«أَفِي شِفَاهِكَ لَحْنٌ مَا سَتُسْمِعُهُ  
 أَمْ خَانَ تَنْجِيمَ عَرَافِي تَوْقَعُهُ ؟  
 يَا عِيدُ كَيْفَ يَطِيبُ الرَّقْصُ فِيكَ...وَلَمْ  
 تَعُدْ «لِكَعْكَ» أَمَانِينَا تُوزَعُهُ  
 لَمْ تَدْرِ أَنَّ ابْنَتَ الْفَلَاحِ ذَاهِلَةٌ !  
 فَتَوْبُهَا الْوَتْرُ لَا زَالَتْ تُرْقِعُهُ»

لقد رمز لأمانيه ووطنونه وأمله في العودة «بالعراف» لقد أعطى للمستقبل هذه الرمزية التي لا تقوم على القطع، وإذا ما استقصينا وظيفة العراف التي هي التنبؤ بالقادم المجهول على سبيل الفأل أو سبيل التخوف فإن توظيف هذه التيمة والتي تشبعها الحكايات التراثية الحسانية بالكثير من الدهشة والغرابة، مثلما يترعها استحضار النص بالتبدد والانحسار، وما كنى به عن ميول صوب عذارى الحقول وما يواجهن من شح في الزينة والستر لأسباب اقتصادية بشعة تلقي بمرارتها على المنمين في الوطن المحاصر بالجفاف والقحط وللريفيين تحديدا بمأساوية وتهميش.

وينادي في ختام القصيدة على العيد مستجديا رحمته المغطاة بالبهجة ومستعظفا هائل الفرحة استعظافا ملؤه الانكسار والوجل  
 قائلًا:

«يا عيدُ رَفَقاً بِمَنْ ظَنُّوكَ ذَاكِرَةً  
لِلرَّقْصِ... أَيَّامَ كُنْتَ الْأَنْسَ تَصْنَعُهُ  
لا تَسْرِقِ الْمَاءَ لَيْلاً مِنْ جِرَارِهِمْ  
كَفَى الْفَقِيرِ ضَيَاعاً مَا يُرْوَعُهُ»

وهل تعرف الفقير يوما على غير الضياع؟. ولا سيما فقراء الأرياف الذين يزورهم العيد في عطش مخيف ويسهرون ليله يمتحون الآبار العميقة بالدلاء التي لا تكاد تقطر بما يسقي حناجرهم وحقولهم المشتاقة إلى أكثر من عيد.

وفي «مُتَّخَفُ الذِّكْرَى» يتساقط قلب شاعرنا قطعاً من الليل وإربا من النهار، ولا يكتفم قليلاً أو كثيراً من نصبه وضياعه ولا يتوارى خلف أي ستار مجازي وإن رمّز لمعانته بتعبير غير سوريالي في ظاهره البساطة التركيبية وفي سرّه الألم المصنّف من الشتات، ومدخل القصيدة إعلان قاتل باليأس ومصارحة أليمة بالاستسلام:

«تَعَبْتُ خُطَايَ مِنْ الْمَسَافَاتِ الَّتِي اقْتَرَفْتُ  
وَمَلَّتْ مِنْ مَوْاعِدَةِ الْغَدِ الْقَاضِي بِخَدَشِ شُعُورِهَا  
تَعَبْتُ مِنْ اسْتَفْزَازِهِ أَعْصَابُهَا...  
تَمَشِي إِلَيْهِ

بِنَبْضِ مَسْجُونٍ يُقَادُ مُصَفِّدَ الْأَحْلَامِ نَحْوَ الْمَشْنَقَةِ

مُكْتَظَّةٌ بِالنَّزْفِ لَا ظِلٌّ يُجَفِّفُ دَمْعَهَا  
أَوْ مَوْطِنٌ يُؤْوِي رُؤَاهَا الْمُرْهَقَةَ»

إن هذا التبرم إلى الذات والانزواء مع الحديث القادم من تحت الرماد المتناثر في هواء الرثة الملوثة بالخيبات لم يعد أمامه من بد إلا أن يعلن الشاعر عن نفسه كاملة غير ناقصة ويتملكه حسه التصوفي وشروده الإيماني بإطلاق المناجاة وإرسال الضراعة إلى الإله وهو يلفظ أنفاس أحلامه الأخيرة جزعا ومرارة:

«رَبَّاهُ إِنِّي ضَائِعٌ: مُنْذُ امْتِطَائِي الرِّيحَ...!  
أَرْهَقَنِي الرَّحِيلُ وَأَغْلَقَ الْغَدُّ عَنِّ أَمَانِي بَابَهُ  
أَرْسَلْتُ صَرَخَاتِي مُمَوَّجَةً إِلَيْهِ...  
فَلَمْ يَشُدَّ شَهيقَهَا حُجَّابَهُ»

لقد بات يستمدّ العون من قوة خارقة ويفوض آخر ما تبقى من أمره إلى السماء ليعيد انبعاث أمله المطرود، وتمرده على السلاسل التي تصفد خطوه، والأيام المصلاة باللهب التي تتحكم في تأليب المسافة ضدّ مساره، ملغيا بختام النص ما سبق من انهزامية وارتكاس إذ يقول بصخب:

«لَمْ تَبَقْ غَيْرَ الذِّكْرِيَّاتِ شَوَاطِئُ... أَمْشِي إِلَيْهَا مُنْقَلًا  
حَتَّى أَدْحَنَ بَعْضَ أَوْجَاعِي

بَعِيداً عَن قَنَادِيلِ الرَّصِيفِ وَعَن مَمَرَاتِ الْكَلَامِ  
 زُهْداً بِإِشْفَاقِ الْبَشْرِ  
 فَلَيْشَحَذِ الْغَدُ فَاسَهُ لِي  
 وَلِيُعَانِدَنِي كَمَا شَاءَ الْقَدَرُ...»

إنه يستجمع ما تلفظ من أنفاسه المتشردة ويحتطب للاتقاد من جديد، ويلقي بحربه المحترمة مع الحظوظ والأقدار، متجاهلاً حفيظة الشعور واجتماعية الإنسان، غير عابئ بالملاحظات والمعاذير والعاذلين ولغط الشوارعيين وجنون الزمن المشتاق للعبث بمواعيد الشعراء وأمانيتهم، وموضحاً رسالته للقدر الذي يُسند المؤمنون بالإله إليه كل أحداثهم في تحدٍّ مهذب ومختصر، فالاستمرار قراره أن تغالب المقادير كل سعي من أجل الخلاص. وللغزل حصته التي لا بد أن تستحوذ على غريزة الرجل وعاطفة الشاعر، وللمغتربين في البلاد المحافظة ذلك الحبس النفسي المرير وتلك العزلة الجبرية الحادة، وإن كان للشعراء في الأصل خيالهم المتعمد لخلق المرأة الخاصة بالشعر وتصويرهم لملامح حبهم بحسب ما يمرون به من تفاصيل وتجارب قد لا يكون الانهماك في تحليلها من مناهل الدراسة.

«مُدَّ أَوْمَاتٌ عَيْنَاكِ لِي رَقْصاً  
 تَحَرَّكَ فِي طِفْلٍ يَرْقُبُ الْمِيلَادَ مُدَّ عَامَيْنِ ...»

وَهُوَ الْآنَ يَنْتَظِرُ الْعُبُورَ-بِخَتْمِكَ الْوَرْدِيِّ سَيِّدَتِي- بِأَعْصَابِ  
الْمَسَاءِ إِذَا اسْتَفْزَأَ اللَّيْلُ هَدَاتُهُ...»

يبدو أن حظ الشاعر من العاطفة هجر وصدود واستكبار  
وتعتت من طرف التي يراها مثل قلبه الصغير، ولم تشفعه  
المحبوبة في قليل رغبته وهو على بُعد؛ إحراقاً لصدره باللوعة  
وفرضا للاشتياق المضاعف عليه.

ويمرر شاعرنا في معجم الأحداق رؤيته للحب الغريزي وتبريره  
لجنونه العاطفي الملاحق لمؤنسته واضعا فلسفته الجسدية  
والروحية وإن اختلفت الخطائية بينه وبين نزار متناصا مع نصه  
«من مفكرة عاشق دمشقي»

إذ يقول في رؤيته:

«مَا زِلْتُ أَقْرَأُ فِي عَيْنَيْكَ لَهْفَتَهُ  
حَتَّى وَإِنْ كَافَحَتْ خَدَاكَ ثَوْرَتَهُ  
الْحُبُّ لَيْسَ أَحَاسِيساً مُزَيَّفَةً  
نُذِيعُهَا... لِيَنَالَ الْجِسْمُ مُتَعَتَهُ»

وتأتي «روح المكان» تعبيراً عن شعوره النفسي وافتقاده لظلال  
العائلة وحنان الأبوة المترع ببراءة الأطفال، إن ذلك البيت السعيد  
هو الشيء الوحيد الذي قد لا يجد الشاعر المغترب ما يجعله في  
تماسك أمام تذكّره، فالمكان سابق على الزمان من منظور نسبية

«أينشتاين» إذ يرى أن الزمن يتحدّد وجوده بالأشياء ويفقد الوقت كينونته بغياب الأجزاء المادية.

وهذه اللمحة الوجودية التي يدل النص عليها في مغزاه العميق قد تفسّر بمبرر الغربية وقسوة الاغتراب إذ يقول:

«لَوْلَا الصُّغَارُ لَكَانَ الْبَيْتُ مَقْبَرَةً  
رُوحَ الْمَكَانِ يَلْفُ الصَّمْتِ وَحَشَّتْهَا  
أَبْنَاؤُنَا مُفْرَدَاتُ الرَّقْصِ... قَارَتْهَا  
يَحْسُ قَبْلَ مَخَاضِ الضُّوءِ رَوَّعَتْهَا»

ولفلسطين الجرح العربيّ الذي لا يتوقّف عن النزيف حضوره اللاذع في مخيال «أرجوحة الضوء» وتبرز القدس بصفاتها الرمز الأيقونيّ المعبر عن الصراع العربيّ مع الاحتلال الصهيونيّ وبوصفها الواجهة الحضارية لمقاومة الأمة، وإن تملك نفس الشاعر طابع التشاؤمية والجزع والإحساس بفقدان الطاقة في مسيرة الشعب الواحد المجزأ إلى دول ومظلات سياسية، وقد يرجع ذلك إلى ما يعايشه من تساقط عربيّ في مستنقع التطبيع ووحل التقارب الإمبرياليّ المغلف بالإنسانية الخاوية، وما يحاول المنحازون للاحتلال تمريره دون إثارة لحفيظة أبناء الأرض بحجة السلام الشامل.



«وفي القدس... مَنْ في القدس؟  
 كنهه قداسة  
 تبخرَ فيها الضوءُ وهو قتيلُ  
 تجعدَ في أكواخها الليلُ معلناً  
 تمرُّده... هل للخلاص سبيلُ؟  
 ثمانونَ عاماً ذرّبها متتائبُ  
 تميلُ بها الأوجاعُ حيثُ تميلُ»

ولا يخفى على قارئ هذا الأنموذج المقتضب من نص «سينتقض الأقصى» أنه برغم السوداوية واليأس من جدوى إظهار صمود الفلسطينيين الذين بقوا لوحدهم يصارعون نيابة عن الإنسان العربي، ولم يغب الملمح الديني الذي تحظى به المدينة المقدسة في الثقافة الإسلامية عن وجدان الشاعر ولم ينفصم عن واقعه المبتلى بتشرذم الصفّ وتباعد الأشقاء.

وللوطن الأم حصته من التذمر والرّفص، فما يلقي الشعراء أمرّ من هجرة قسريّة ينوؤون بها وإن رحبت المنافى أمامهم، ولو تشابهت الجغرافيا والثقافة، فاحتواء الموطن الأول لا يقبل البديل ولا يتقبل العوض، ووفق نص «انشطار» في إظهار ما يعتلج صدر شاعرنا من نكد وغضب ممزوج بالصراحة القاسية، إنه

ينظر إلى حال بلاده نظرة المتطلع إلى واقع أفضل بكثير مما هو عليه، محملاً سياسيه وزر ما اقترفوه من اختلاس وترجح واضطرابات سياسية متتالية، جميع ذلك كان مرده على وطنه كارثيا وأليما .

«كُلُّ الْخَطِيئَةِ أَنَّنَا فِي مَوْطِنٍ  
تَهْفُو الرِّيَّاحُ بِهِ فَلَا تَعْمِيَرًا  
شَابَتْ رُؤُوسُ الْوَلَدِ بَيْنَ حُطَامِهِ  
فِي اللَّاحِيَاةِ... يُؤَمِّلُونَ النُّورَا  
وَطَنٌ تَتَاهَشَتْ الْمَفَاسِدُ جِسْمَهُ  
وَعَلَى سَرِيرِ الْمَوْتِ نَامَ حَسِيرَا»

ولا شك أن تلك الصور مؤذية للعاطفة الأدمية؛ من مرضى أعياهم الألم ومعوزين أتعبهم الاحتياج ومشردين بلا منازل تأويهم من تيه الطرقات والشوارع، أثر أيما تأثير عليه ففي إحدى قصائده يلتقط من واقع الإنسان الموريتاني مشهد «بائع النعناع»، إذ يقول:

«مُتَسَكِّعٌ...خَلْفِي صِغَارٌ أَرْبَعُونَ  
يُقَشِّرُونَ غِلَافَ أَغْصَانِ الْغَدِ الْمَجْهُولِ...يَنْتَظِرُونِي  
عَلَى أَعُودٍ بِعَلْبَةِ الْحَلْوَى الَّتِي مَنِيَّتُهُمْ حَلْمَا بِهَا

لَكِنَّ خَيْبَةَ شَارِعِ الْقَدَرِ اسْتَدَانَتْ كُلَّ نَعْنَاعِي  
فُعِدَّتْ بِأَلَا... وَلَا...»

منتهى الخذلان وقاع الخيبة المظلم تجسدهما هذه الفقرة العارضة لأقل مشاهد الواقع الموريتاني بشاعة، معيلون على صبيان ونساء كثيرات من حزم النعناع التي لا تجد من يشتريها غالبا، إن وصفه لحالهم بالتسكع ينم عن إدراك لمطاردة أولئك الباعة للسيارات والمارة بغية اشتراء النزر القليل لتوفير قوت يومهم على الأقل.

ونضع أخير تناولنا في موضوع المديح النبوي؛ إذ احتوت المجموعة قصائد متفاوتة في تنوع الأسلوب ودرجة الشعرية ومستوى الأخيلة وظلت الرابط بينها رمزية النبي عليه الصلاة والسلام، ولم تخل من اختلاف في ما بينها عن بعضها البعض، فأسلوب الحكيم أو السردية خيم على «استدعاء لتهلل أسارير الغيث» لما أيقظته الحكايات الطفولية عن حضرة النبوة المكرمة وما يستدعيه استحضار الحنين إلى جلسات الحديث عن السيرة المشرفة وثم الحنين إلى معنى تلك السيرة العظيمة، وما يميز مكانة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

وحكم التصوف نسق «تراتيل روحية» وظهرت تيمات التعبد والرقعة في معظم فقرات هذا النص، وكان «السفر المائي» ساردا لمحطات رهيبية من تاريخ الدعوة وعارضا ببلاغة للحظات من حياة النبي بأسلوب فني عال:

«كَانَتْ تَدُورُ بِذِهْنِ الْمَاءِ أَسْئَلَةٌ  
حَيْرَى تُقَاسِمُ وَجَهَ الرِّيحِ حَيْرَتَهُ  
أَتَيْتَ أَجْوِبَةً لِلْحَائِرِينَ فَمَا  
تَلَيْسَ النَّصُّ إِلَّا رُمْتَ عُقْدَتَهُ

...

قَدْ اعْتَصَبْتَ عَلَى الْأَحْجَارِ مُسْتَنْدًا  
وَلَمْ تُجِبْ لِجِمَاحِ النَّفْسِ رَغْبَتَهُ  
الْأَسْوَدَانَ شَرِيكَاً الْوَحْيِ مَهْبَطَهُ  
قَدْ صَمَمَا لِرِدَاءِ الصَّبْرِ لَوْحَتَهُ»

وفي خاتمة هذه المقاربة المقتضبة نودُّ أن نلفت انتباه قارئها ومتلقي النصوص التي تحويها «ألحان مائة الإيقاع» على كونها لم تتناول المجموعة بشكل شمولي بل بإسهاب خوفا من تعرية النصوص أمام القارئ إذ تركت له مساحات شاسعة للتنزه بين أَرْصَفَةِ سَطُورِهَا الْوَارِفَةِ الْمَجَازِ، وتعدُّ نقداً تذوقياً في المقام الأول، إذ هي لا تبرز للقارئ إلا ما انتقته من نصوص وما اختارته من استشهادات تمثل المفصل في وجدان كاتبها، وبطبيعة الحال أنه لا يخلو أي عمل بشري، نثرا كان أو شعرا علميا كان أو أدبيا من جوانب تفتقر إلى الكمال والتناسق.

ونرى أن هذه المجموعة طبعها الشعر بكلا التعريفين أو المفهومين القديم والحديث، فمنها ما التزم بالموسيقى الخليلية حافرا بحافر، ومنها ما احتفظ بالإيقاع العام واختار التجرد من قيود القافية، ومن الناحية اللفظية لم تخل في عموم مادتها من فنية عالية أحيانا وأخرى دون ذلك، وطبعت الخبرية معظم جملها، وربما ذلك مما يعزز قوة الشعر، فالشعر في الغالب تقرير بلغة ماورائية، ولم يكن أيضا لشعرية البساطة فراغ، بل نالت من بعض النصوص ما يتماشى مع اللحظة، وقد نعل ذلك بعدة أسباب، ترجع في مطلقها إلى اللحظة التي كتبت فيها وإلى الواقع الذي تلبسته، وتظل الأحداث تتفاوت في حدة العاطفة بحسب السياق الكتابي والنسق الفكري الموجه للشاعر.





## حَنْجَرَةُ الْفَرَاغِ

مَا بِأَلْهَا لَمْ تَبْتَلِعْ طُوفَانَهَا  
بَلْهَاءُ ... أَمْ سَرَقَ الذُّهُولُ حَانَهَا؟

خَذَلَتْ بَرَاءَةَ حَدْسِهِ الْفُلْكَ الَّتِي  
قَدْ صَفَّ مِنْ شَجَرِ الرَّوَى عِيدَانَهَا

تَرَكَتَهُ لِلْأَمْوَاجِ تَطْوِي ظِلَّهُ  
وَعَلَى الشَّوَاطِئِ يَوْمَهَا مَا خَانَهَا

سُفِنُ الْغِيَابِ تَعِيْسَةٌ مَا أَبْحَرَتْ  
إِلَّا لِتُغْرِقَ بَغْتَةً رُكْبَانَهَا!

سَفَرٌ يُشْكَلُهُ الضِّيَاعُ خَرِيْطَةً  
لِتُعْيِرَهُ أَقْدَامُنَا خِذْلَانَهَا



مَا بَالُ هَذِي الْأَرْضِ كَيْفَ تَتَأَبَّتْ  
لَمَّا عَلَا طُوفَانُهَا إِنْسَانَهَا؟

فَكَأَنَّ حَنْجَرَةَ الْفِرَاقِ تَقَمَّصَتْ  
صَرَخَاتِهِ وَتَعَمَّدَتْ كِتْمَانَهَا

قَدْ لَوَّحَتْ كَفَّاهُ لِلْجُودِيِّ مَا  
إِنْ لَامَسَتْ لُجْجَ السَّرَابِ بِنَانَهَا

فَتَوَكَّأَتْ أَعْصَابُ خَيْبَتِهِ عَلَى  
ذَهْنِ الشُّرُوقِ لِتَسْتَعِيدَ أَمَانَهَا

لَكِنَّهُ الْقَدْرُ الْمُعَانِدُ... كَلَّمَا  
رَقَصَتْ شِفَاهُ يَرْتَبِي أَحْزَانَهَا

أَوْ دَثَّرَ الْأَشْجَارَ هُدْبُ غَمَامَةٍ  
عَرَى الزَّمَانَ بُوخَزِهِ أَغْصَانَهَا

قَدَرُ عَلَيْنَا أَنْ تَدُوبَ شُمُوعُنَا  
لِيُحَاصِرَ الدَّمَعَ الْحَزِينُ دُخَانَهَا

قَدَرُ الزَّوَايَا أَنْ تَظَلَّ حَبِيبَةً  
يَرْتَادُ هَاجِسُ شَاعِرٍ جُدْرَانَهَا

إِنَّ خَانَهُ الْإِبْحَارُ يَوْمًا...

فَالْقَصِيدَةُ

لَنْ تَخُونَ لِلْحَظَةِ مَنْ كَانَهَا

## اِحْتِطَابٌ لِمَوْقِدِ السُّؤَالِ

تَدُورُ خَلْفَ جِدَارِ اللَّيْلِ أَسْئَلَةٌ  
فَهَلْ لَهَا مِنْ شِفَاهِ الصُّبْحِ أَجْوَبَةٌ؟

كَانَ انْتِظَارِي يُلْفُ الصَّمْتُ أَحْرَفُهُ  
وَفِي فَمِي مُفْرَدَاتُ الْمَاءِ أَضْرَحَةٌ !

فَوَضَى مِنْ الشَّكِّ تَجْتَا حُ ارْتِبَاكَ دَمِي  
وَلَمْ تُعَدِّ فِي شِبَاكِ الْحَدْسِ بَوَّصَلَةٌ

يَنْتَابُنِي قَلْقُ الْأَوْرَاقِ إِنْ سَقَطَتْ  
وَبَدَّدَتْ حُلْمَهَا فِي الْأَفْقِ زَوْبَعَةٌ

هذي الحياةُ مَجَازَاتُ خُرَافَتِهَا  
أرَوَّاحُنَا فِي مَرَايَاهَا مُعَلَّقَةٌ

تَبَقَى تَفَاصِيلُهَا تُذَكِّي مَخَافَتَنَا  
نَوَافِذُ لَاهِتِزَازِ الشُّكِّ مُشْرَعَةٌ

جِرَارُ أَذْهَانِنَا ظَمَأَى تُطَارِدُهَا  
-إِذْ كَلَّمَا شَاخَتْ الْأَصْوَاءُ- أَخِيلَةٌ

مَا نَحْنُ ... لَوْلَا رُؤَاْنَا الْخُضْرُ مَا احْتَضَنْتَ  
رَغَمَ اخْتِلَافَاتِهَا الْأَرَاءِ أَفِيدَةٌ

تَبَايُنُ اللَّوْنِ فِي أَبْعَادِهِ صُورٌ  
تَلْفَهَا مِنْ خِيُوطِ الْغَيْبِ مُعْجَزَةٌ

صِيغَتْ مَعَاجِمَهَا مَائِيَّةً ... جُمِلُ  
نُقُوشُ رِيشتِهَا لَمْ تَحَوِّهَا لُغَةٌ

تَفَتَّقَتْ مِنْ جَبِينِ الطُّيْنِ رَافِضَةً  
أَحْدَاقُهَا لِشُعَاعِ الفَجْرِ مُسْرَجَةٌ

إِنَّ لَمْ نُذِبْ كِبْرِيَاءَ المِلْحِ فِي دَمِنَا  
لَنْ تَحْضَنَ الدَّاتُ فِي الأَرْجَاءِ أَرْصِفَةٌ

## بريد ضائع

مُدَّ أَوْمَاتٌ عَيْنَاكِ لِي رَقْصاً

تَحْرَّكَ فِيَّ طِفْلاً

يَرَقِبُ الْمِيلَادَ مُدَّ عَامَيْنِ ...

وَهُوَ الْآنَ يَنْتَظِرُ الْعُبُورَ

- بِحَتْمِكَ الْوَرْدِيِّ سَيِّدَتِي -

بِأَعْصَابِ الْمَسَاءِ إِذَا اسْتَفَزَّ اللَّيْلُ هِدَاةَهُ

تَلَبَّسَنِي ذُهُولُ الْمُفْرَدَاتِ ...

فَكُلَّمَا حَاوَلْتُ وَصْفَكَ

لَمْ أَجِدْ لِحْنًا يُنَاغِمُ نُوتَتَيْكَ !

حَبِيبَتِي

فَلتَعَذِّرِينِي إِنْ بَدَأَ ظَمًا الحُرُوفِ عَلَى الشِّفَاهِ

\*\*\*

أنا مُتَعَبٌ يا بَسَمَةَ الإِشْرَاقِ فِي حَدَقِي  
يُلاحِقُ رَعَشَتِي ذَنْبٌ زَلِيخِي الرُّؤْيِ ...

يَنْتَابِنِي قَلَقُ الأَصَابِعِ  
كَلِمًا أَحَسَّسْتُ

أَنَّ رَسَائِلِي خَلَفَ الجِدَارِ مُعَلَّقَةً  
لا ذَنْبَ لِي

غير الذي اقْتَرَفْتَهُ عَيْنَاكَ المُكَابِرَتَانِ !  
رَغْمَ نُعَاسٍ كُجَلِهِمَا وَلَهْفَتِهِ لِمِرَّاةٍ تُعِيدُ بَرِيقَهُ .

قَدَرِي هُمَا

يا نِعْمَةَ القَدَرِ المُخْبِئِ فِي ضَفِيرَةِ غَيْمَةٍ  
تَنْتَابُ عَيْنَيْهَا أَحاسيسُ الوَتْرِ

لِتَكُونَ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَيَّ  
قَلْبِي الصَّغِيرِ لِكَيِّ تُعِيدَ لَهُ النُّظْرَ

لا تَكْبِتِي لِحْنًا عَلَيَّ شَفَتَيْكَ  
يَبْدُو كَلِمًا أَحْفَيْتَهُ عَنِّي ظَهْرَ

\*\*\*

الحُبُّ لَيْسَ غَرِيْزَةً جِنْسِيَّةً  
فِي لِحْظَةٍ مَا تَنْتَهِي لِئَعِيْدَهَا

بَلْ نَبْتَةٌ تَخْضَرُ فِي أَحْدَاقِنَا  
وَحَوَاجِزُ كَسَرَ الْحَنِينِ قِيُوْدَهَا

وَرُؤْيُ تَسَافِرٍ دُونَ أَيِّ خَرِيْطَةٍ  
وَرَسَائِلُ طَبَعَ الْجُنُونِ بَرِيْدَهَا

\*\*\*

مَا زَلْتُ فِي عَيْنَيْكَ أَرْسَمُ لَوْحَتِي  
أَحْيِي لَفَائِفَ لَيْلَتِي رَقْصاً عَلَى نِعْمَاتِ عِيدِ لِقَائِنَا  
كُونِي كَمَا شَاءَ الْهُوَى

لَا تَحْجِبِي عَن سَهْمِكَ الْمَغْرُوسِ فِي خَلْدِي  
بَرِيْداً مِنْ دَمِ الْأَحْلَامِ حَمَلْتُ ارْتِعَاشَ النَّبْضِ أَحْرَفَهُ  
فَقَدْ لَا يَضْحَكُ الزَّمَنُ الْمُرَاهِقُ مَرَّتَيْنِ.



## رُوحُ الْمَكَانِ

أَشْتاقُ إِذْ كَلَّمَا أَوْلَتْ بِسَمَتِهَا  
نَايَا... يُعِيدُ إِلَى الْأَذْهَانِ رَقَصَتَهَا

مَلَائِكَةُ طَالَمَا قَدْ وَرَدَتْ شَفَتِي  
وَوَزَّعَتْ فِي زَوَايَا الرُّوحِ نَسَمَتَهَا

فَإِنْ تَهَجَّى حُرُوفِي الصَّمْتُ... تَمْتَمَةً  
أَوْ دَمْعَةً... خَبَزَتْ عَيْنَاكِ ضَحَكَتَهَا

صَغِيرَتِي وَزَّعِي الْأَلْحَانَ أُغْنِيَةً  
لِتَسْتَعِيدَ بِهَا الْأَرْوَاحُ بَهْجَتَهَا

لَوْلَا الصَّغَارُ لَكَانَ الْبَيْتُ مَقْبَرَةً  
رُوحُ الْمَكَانِ يَلْفُ الصَّمْتِ وَحَشَتَهَا

أَبْنَاؤُنَا مُفْرَدَاتُ الرَّقِصِ... قَارِئُهَا  
يَحْسُ قَبْلَ مَخَاضِ الضُّوءِ رَوَعَتَهَا

هُمُ النُّقُوشُ الَّتِي خُطَّتْ بِدَاخِلِنَا  
زَخَارِفًا يَمَلَأُ الْإِحْسَاسُ رِقَّتَهَا

عَلَى شَوَاطِئِ إِحْيَاءِ اتِنَا هَطَلُوا  
غَيْمًا أَعَادَ إِلَى الْأَحْدَاقِ خُضْرَتَهَا

## تَلْوِيحَةٌ مِنْ نَافِذَةِ الْفَجْرِ

نُفُوسٌ إِلَيْكَ اللَّيْلَ

كَانَ رَكُوبُهَا

وَلَيْسَ مَدَى إِلَّا إِلَيْكَ هُرُوبُهَا

خُطَاهَا بِذَهْنِ الْفَجْرِ

أَمْرَعٌ وَطُوبَاهَا

خُشُوعًا هَفَّتْ صَوَّبَ الْمُصَلَّى قُلُوبُهَا

لِتَسْتَغْفِرَ الذَّنْبَ

الَّذِي اقْتَرَفْتَهُ فِي

تَنَاقُوبِهَا مَا إِنَّ تَعَرَّتْ دُرُوبُهَا

حَقَائِبُهَا مَلَأَى  
بِحُبِّكَ سَيِّدِي  
سُرُوراً بِنَجْوَاكَ اسْتَحَالَتْ كُرُوبُهَا

لَهَا بِزَوَايَا اللَّيْلِ  
أَدْمَعُ شَمْعَةَ  
وَمَسْبَحَةَ بِالذِّكْرِ رَفَّتْ حُبُوبُهَا

فَكَمَّ مِنْ نَبِيِّ  
جَاءَ مُسْتَعْفِراً وَفِي  
يَدَيْهِ بَقَايَا الْغَيْمِ كَادَ نُضُوبُهَا...

وَحَلَفَ رَمَلاً  
يَشْتَكِي الرِّيحَ غُصَّةً  
وَحُرْقَةَ أَشْجَارِ تَبَدَّى شُحُوبُهَا

غَفَرَتْ

وَأَجْرَيْتَ الْمَعِينَ بِنَبْضِهِ  
فَسُرَّتْ أَسَارِيرُهَا وَبَانَتْ خُطُوبُهَا

وَحَنْجَرَةُ الْمُسْتَغْفِرِينَ

تَرَطَّبَتْ

بِذِكْرِكَ أَسْحَارًا لَتُمَحَى ذُنُوبُهَا

إِلَهِي شِفَاهُ الطِّينِ

تَشْكُوكَ مَحَلَّهَا

وَلَيْسَ لَهَا إِلَّاكَ رَبُّ يُجِيبُهَا

## انْشِطَار

بِالْكَادِ تَنْهَشُنِي مَنَاقِرُ مَوْطِنِي  
هَذَا لِأَنَّ الْأَصْلَ عَاشَ فَقِيرًا

عَاشَ الْبَسَاطَةَ تَحْتَ ظِلِّ خِيَامِهِ  
مَا كَانَ يَوْمًا فِي الْبِلَاطِ وَزِيرًا

كُلُّ الْخَطِيئَةِ أَنْتَا فِي مَوْطِنِ  
تَهْفُو الرِّيحُ بِهِ ... فَلَا تَعْمِيرًا

شَابَتْ رُؤُوسُ الْوَلَدِ بَيْنَ حُطَامِهِ  
فِي اللَّاحِيَاةِ ... يُؤَمِّلُونَ النُّورَا

في ظاهر الأمر العدالة نجهه  
لكن باطنه يمور فجورا

حكمانا شادوا القصور بخيرنا  
ونشيد نحن من المجاعة دورا

وطن تتاهشت المفاسد جسمه  
وعلى سرير الموت نام حسيرا

## قراءة في معجم الأُحْدَاقِ

ما زلتُ أقرأُ  
في عَيْنَيْكَ لَهْفَتَهُ  
حتَّى وإنْ كَافَحَتْ خَدَاكَ ثَوْرَتُهُ

### الحُبُّ

ليسَ أحاسيساً مُزَيَّفَةً  
نُذِيعُهَا... لِيَنَالَ الجِسْمُ مُتَعَتَهُ

وإنَّما طَيْرَانُ  
دُونِ أَجْنَحَةٍ  
يُفْضِي بِنَا حَيْثُ شَامَ الحَدْسُ وَمَضَّتَهُ



العُذْر... حَاوَلْتُ أَنْ أُنْسَاكَ سَيِّدَتِي

حَاوَلْتُ!

لَكِنْ يَرَاكَ الْقَلْبُ جَنَّتُهُ

فَلتَدْخِلِيهِ

إِلَى أَنْهَارِ خُضْرَتِهَا

أَوْ أَحْرِقِيهِ لِيَحْيَا فِيكَ قِصَّتُهُ

## مُتَحَفُ الذِّكْرَى

تَعَبْتُ خُطَايَ

مِنْ الْمَسَافَاتِ الَّتِي اقْتَرَفْتُ

وَمَلَّتْ مِنْ مُوَاعِدَةِ الْغَدِ الْقَاضِي بِخَدَشِ شُغُورِهَا

تَعَبْتُ مِنْ اسْتَفْزَازِهِ أَعْصَابُهَا...

تَمَّشِي إِلَيْهِ

بِنَبْضِ مَسْجُونٍ

يُقَادُ مُصَفَّدَ الْأَحْلَامِ نَحْوَ الْمِشْنَقَةِ

مُكْتَظَّةً بِالنَّزْفِ

لَا ظِلٌّ يُجَفِّفُ دَمْعَهَا

أَوْ مَوْطِنٌ يُؤْوِي رُؤَاهَا الْمُرْهَقَةَ

\*\*\*

ربَّاهُ إِنِّي ضَائِعٌ: مُنْذُ امْتِطَّائِي الرِّيحَ...!  
 أَرْهَقَنِي الرَّحِيلُ  
 وَأَغْلَقَ الغَدُّ عَنِّ أَمَانِي بَابَهُ  
 أَرْسَلْتُ صَرَخَاتِي  
 مُمَوَّجَةً إِلَيْهِ...  
 فَلَمْ يَشُدَّ شَهيقَهَا حُجَابَهُ

إِنِّي أَتَيْتُكَ حَامِلاً أُوجَاعَ غَابَاتٍ  
 تَعَاطَتْهَا الرِّيحُ  
 وَأَثَخَنْتَ فِيهَا الجِرَاحَ

أَنْتَيْتُ مِنْ سَفَرِي  
 أَجْرٌ حَقَائِباً مَلَأَى بِحُبِّكَ سَيِّدِي  
 إِيمَانُهَا بِكَ عَابَرَ كُلِّ الحُدُودِ  
 وَأَعْصُرًا ضَوْئِيَّةً...

رَبَّاهُ أَذْهَلَنِي الْغِيَابُ!  
وَأَسَلَمَتْ أَمْوَاجُهُ ذَهْنِي لِضَوْضَاءِ الشُّرُودِ  
فَاخْتَمَ عَلَى قَلْبِ رُحَامِي  
تَأَخَّرَ بِالْقَمِيصِ عَلَيْهِ - عُمراً كاملاً - سَاعِي الْبَرِيدِ.

\*\*\*

لَمْ يُبْقِ لِي وَخْزُ الدَّرُوبِ  
حَدِيقَةً أَرْتَادُهَا  
أَوْ لَحْظَةً أَصْطَادُهَا  
إِلَّا قَلِيلاً مِنْ بَقَايَا الضُّوْءِ مُحْتَفِظاً بِهَا  
فِي مُتَحَفِ الذُّكْرَى الَّذِي أَهْفُو إِلَيْهِ  
إِذَا تَقَمَّصَنِي الْحَنِينُ  
وَقَصَّ أَجْنَحَتِي الْفَرَاغُ

أَلُوذُ بِالتَّحْدِيقِ مِنْ شُرْفَاتِهِ  
 مُسْتَحْضِرًا بِكثَافَةٍ  
 بِسَمَاتِ أُمِّي  
 وَهِيَ فَاتِحَةٌ ذِرَاعَيْهَا  
 لِتَحْضُنَنِي بِمِلءِ حَنَانِهَا  
 إِذْ كَلَّمَا لَامَسْتُ مَقْبِضَ يَابِنَا الخَشَبِيِّ  
 - فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ -  
 عَائِدًا مِنْ حِضْنِ مَدْرَسَتِي  
 مُبَعَثَرَةً رُؤَايَ  
 مُبَلَّلَ الخَطَوَاتِ

أَهْ كَمْ أَحِنُّ إِلَيْكَ يَا أُمِّي  
 وَكَمْ أَشْتَاقُ رَائِحَةَ الفَطَائِرِ  
 عِنْدَمَا تُرَخِّي ضَفَائِرَهَا  
 عَلَى شِبَاكِ مَطْبَخِنَا الصَّغِيرِ  
 وَأَكْوَسَ الشَّايِ التِّي يَلْتَفُّ حَوْلَ بَرِيقِهَا السُّمَّارِ...

أَفْتَقِدُ احْتِضَانَ جِدَارِ مَنْزِلِنَا/سَوَارِيهِ  
التي قَدْ كُنْتُ أَرْكُضُ بَيْنَهَا  
مَعَ إِخْوَتِي البُسَطَاءِ  
مُقْتَبِصِينَ - قبل فِرَاقِنَا - عَفْوِيَّةَ اللِحَظَاتِ ...  
وَاسْتِشْقَاقِ عِطْرِ أَبِي الفَرَنْسِيِّ  
الذي لَا زَالَ يَمْنَحُنِي  
بِطَاقَةِ نَشْوَةِ مَفْتُوحَةٍ  
لِلرَّقْصِ بَيْنِ شَوَارِعِ اللِغَةِ الحَزِينَةِ ...  
وَاتِّكَايَ - إِنَّ تَسَارَعَ نَبْضُ أَخِيلَتِي - بِجَانِبِهِ  
مُلَامِسَةً فَرَاعَاتِي الهُدُوءَ

\*\*\*

لَمْ تَبَقَ غَيْرَ الذِّكْرِيَّاتِ شَوَاطِئُ...  
أَمْشِي إِلَيْهَا!

مُنْتَقِلاً حَتَّى أُدَخِّنَ بَعْضَ أَوْجَاعِي  
بَعِيداً عَنِّ قَنَادِيلِ الرَّصِيفِ  
وَعَنِّ مَمَرَّاتِ الْكَلَامِ

زُهْداً بِإِسْفَاقِ الْبَشَرِ  
فَلْيَسْجُدِ الْغَدُّ  
فَأَسْهُ لِي

وَلْيُعَانِدْنِي كَمَا شَاءَ الْقَدَرُ...

## السُّفْرُ الْمَائِيُّ

مَا إِنَّ تَشَهَّتْ شُقُوقُ الطَّيْنِ غَيْمَتَهُ  
أَضْفَى عَلَيْهَا مِنَ التَّحْنَانِ نَسْمَتَهُ

كَانَتْ شَرَايِينُنَا الْحُبْلَى بِخَيْبَتِهَا  
تُسَائِلُ الْحَجَرَ الْمَنْحُوتَ نَجْدَتَهُ

تُهْدِي قَرَابِينَهَا حَتَّى يُبَارِكَهَا  
ظَنًّا بِأَنَّ تَتَفَادَى الرُّوحُ غَضَبَتَهُ

لِيَهْدَأَ الشَّبْحُ الْمَدْسُوسُ فِي دَمِهَا  
وَيَكْسِبَ الْقَلْبُ مِنْ نَجْوَاهُ نَشْوَتَهُ



حَتَّى أَطَلَّتْ بُرُوقُ فِي تَكْشُفِهَا  
مُزْنٌ أَعَادَتْ لَوَجْهِ الرَّمْلِ خُضْرَتَهُ

فَاعْشَوْشَبَتْ مُدُنٌ أَظْمَى مَنَابِتَهَا  
تَعَسَّفُ... حَاكٌ خَيْطُ الْجَهْلِ عَتَمَتَهُ

هَطَلَتْ لَيْلَةٌ كَانَ الْكَوْنُ مُعْتَصِباً  
بِغِيهِ فَأَنْرَتْ الْحِينِ دُجْنَتَهُ

عُلِّقَتْ فِي رَحِمِ الْأَذْهَانِ أُغْنِيَةٌ  
تُرَاقِصُ الْهَامِشَ الْمَسْلُوبَ غِبْطَتَهُ

أَوْحَى بِكَ اللَّهُ لِلْغِيَمَاتِ مَذَّ بَعِثَتْ  
لِتَمْنَحَ الْكَوْنَ مِنْ بُشْرَاكَ بَهْجَتَهُ

كَانَتْ تَدُورُ بِذَهْنِ الْمَاءِ أَسْئَلَةً  
حَيْرَى تُقَاسِمُ وَجَهَ الرِّيحِ حَيْرَتَهُ

أَتَيْتَ أَجْوِبَةً لِلْحَائِرِينَ فَمَا  
تَلَبَّسَ النَّصُّ إِلَّا رُمَتْ عُقْدَتُهُ

مَرَّتْ أَهْلَتَكَ الْبَيْضُ الَّتِي حَبَزَتْ  
لِتَغْرِ آمَنَةً فِي الشُّعْبِ بِسَمَتِهِ

بِسُرْعَةِ الضُّوءِ... إِذْ قَدْ أَرَّخَتْ زَمَانًا  
فِيهِ يُعَانِقُ ثَوْبُ الطِّينِ تُرْبَتَهُ

\*\*\*

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ حَيْثُ النُّورُ مُحْتَشِدٌ  
كُلُّ الْمُنَى أَنْ يَقِرَّ الشَّمْعُ نَظَرَتُهُ

حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى بَهْوِ الْمَقَامِ... رُؤَى  
قَدْ خَضَرَتْ لِشُحُوبِ الرَّمْلِ وَجَنَّتُهُ

وَأَثَّتْ لِشُعَاعِ الدِّينِ أَرْوْفَةً  
سَنَاوُهَا الْمَحْضُ أَهْدَى الْغَيْمِ وَجْهَتُهُ

فِي الْغَارِ كَانَتْ مَرَايَا الرُّوحِ غَارِقَةً  
وَجِدًا فَأَلْقَى عَلَيْهَا اللَّهُ هَيْبَتَهُ

لِتَتَّبَتِ الْوَرْدَ فِي أَكْنَافٍ مَنْ مَنَعُوا  
خُبْزَ الْمَجَازِ وَمَا ذَاقُوا مَلَذَّتَهُ

رَكَبَتْ أَجْنَحَةَ اللَّيْلِ الرَّهِيْبِ وَمَا  
خَشِيَتْ أَنْ حَشَدَ الْمَوْهُونُ عُصْبَتَهُ

رَمَيْتَهُمْ بِحَصَى يَاسِينَ فَارْتَعَشُوا  
ذُعْرًا... وَأَبْدَى ذَيْحُ الْوَقْتِ دَهْشَتَهُ

فَكَيْفَ لَا... وَعَمَامُ الْحَرِّ قَبْلَ إِذٍ  
أَبْقَى بِذَاكِرَةِ التَّارِيخِ لِحَظَّتَهُ

قَدْ اعْتَصَبَتْ عَلَى الْأَحْجَارِ مُسْتَتِدًا  
وَلَمْ تُجِبْ لِجَمَاحِ النَّفْسِ رَغْبَتَهُ

الْأَسْوَدَانَ شَرِيكَ الْوَحْيِ مَهْبَطُهُ  
قَدْ صَمَّمَا لِرِدَاءِ الصَّبْرِ لَوْحَتَهُ

فَتَحَّتْ أُمَّ الْقُرَى فَارْتَجَّ سَادَتُهَا  
وَأَسَدَلِ الصَّمْتِ فِي الْأَرْجَاءِ سُتْرَتُهُ

قَالُوا أَخٌ وَابْنٌ سَادَاتٍ .. فَقُلْتَ لَهُمْ  
مَا قَالَ يُوسُفُ لَمَّا ضَمَّ إِخْوَتَهُ ...

\*\*\*

أَسَّسَتْ مِنْ شَجَرِ الْمَعْنَى مَعَاجِمَ قَدْ  
رَبَّتْ بِأَحْضَانِهَا لِلْمَاءِ ضِحْكَتُهُ

فَكَكَّتْ أُحْجِيَةَ الْأَعْرَاقِ فِي دَمِنَا  
مِنْ بَعْدِ مَا نَثَرَ الشَّيْطَانُ فُرْقَتَهُ

لَوْ مِنْكَ لَامَسَ نَبْضُ الرُّوحِ أُمَّتَنَا  
صِدْقًا... لَمَا أَهْرَقَ الْإِسْلَامُ دَمْعَتَهُ

وَلَا اسْتَبَاحَتْ حِمَاهُ أَلْفُ طَائِفَةٍ  
زُورًا تُظَاهِرُ بِالْأَعْلَامِ نُصْرَتَهُ

حُبُّ النَّبِيِّ لِلْوَنِ الصُّبْحِ بَوَّصَلَةٌ  
تَشُدُّ مَنْ عَبَدَتْ رِجْلَاهُ سُنَّتَهُ

اللَّهُ... يَا آيَةً أَوْحَيْتَهَا مَطْرًا !  
يُهْدِي نَدَاهَا لِثَغْرِ الْعُشْبِ قُبَلَتَهُ

مِنْ شُرْفَةِ الْغَيْبِ قَدْ بَثَّتْ نَسَائِمَهَا  
حُبًّا... أَعَادَ لِذَهْنِ الْأَرْضِ صَحْوَتَهُ

يَا ابْنَ الذَّبِيحِينَ يَا كَافُورَ قَافِيَتِي  
مَا الشُّعْرُ؟  
إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَمْنَحْهُ نَكْهَتَهُ

صَلَاةُ رَبِّي عَلَيْكَ الدَّهْرَ سَيِّدِنَا  
أَشْدُو بِهَا مَا أَدَارَ الْوَقْتُ إِبْرَتَهُ

## شَاطِئُ الضِّيَاعِ

وَأَدْفَعُ لِلْوَقْتِ مِمَّا بَجَيْبِي  
فَوَاتِيرُهُ... فَيَعْرِئِي جِرَاحِي

عَقَارِبُهُ السُّودُ تَلَدَّغُنِي  
لِيُقَاصِيَ بِقَصْرِ الرَّمَادِ صَبَاحِي

\*\*\*

أَنَا وَرَقٌ بِيَدِ الرِّيحِ تَحْمَلُهُ  
حَيْرَةٌ كُنْتُ  
مُنْذُ ارْتَأَى خِنَجْرُ الوَقْتِ ذَبْحِي  
أَكَابِرُ كَيْ أَتَنَاسَى بَأْنِي ذَبِيحُ  
وَلَكِنَّ إِبْرَتَهُ تَخْزُ الظِّلَّ فِي حَدَقِي  
كُلَّمَا شَاءَ أَنْ يَسْتَرِيحَ



تُرى هلّ ؟

متى ؟

كيف أنجو ؟

سؤال يراودني

كلّما اندسّ فيّ حنين الصّحاري

لقطرة ماءٍ

أربيّ بحاوية المهمّلاتِ غدي

لتريق دَمِ الحلمِ

فيّ «كوابيسه» دون أيّ شعورٍ

\*\*\*

سَأَبْقَى أُغْنِي جِرَاحِي  
أُبَلِّسُهَا كُلَّ فَجْرٍ  
بِضِحْكَةِ عُودِ تَشَهَّى الْمَطَرِ

وَمَهْمَا أَعَاقَ الزَّمَانُ شُرُوعِي  
وَنَاوَلَ تَغْرِي كُؤُوسَ الْخَطَرِ

سَأَبْقَى أُغْنِي لِضَوْءِ  
يُلَوِّحُ لِي  
كَلِمًا أَنْ تَدَانِي أَنْدَثَرُ

سَتُبَحِّرُ يَوْمًا مَلَامِحُ ظِلِّي...  
لِيَعْبُرَ حُلْمِي الَّذِي قَدْ أُسِرَ

وَتَعْرِفُ نَايَاتُ رُوحِي غِنَاءً  
يُقَاسِمُ كُلَّ زُجَاجِ كُسْرٍ

## اِحْتِضَارٌ

بِعَبْرَةِ الرَّاقِبِينَ الْفَجَرَ اخْتَبِقُ  
تَهْفُو الْأَمَانِي بِهِمْ وَالنَّوْمَ مَا سَرَقُوا

يُقَطُّونَ لِيَالِيهِمْ مُجَفَّاةً  
عُيُونُهُمْ مِنْ جَوَى الْأَحْزَانِ تَحْتَرِقُ

تَبَرَّدُوا بِشُعَاعِ الشَّمْسِ عَلَّ لَظَى  
نَارُ الْخَصَاصَةِ يُطْفِي حَرَّهُ الْعَرَقُ

مَا نَحْنُ لَوْلَا حَشَاشَاتُ نُخْضِرُّهَا  
فِيُورِقُ الضُّوْءُ وَالْأَحْلَامُ تُسْتَرَقُ

يا أيُّهَا الرَّاكِبُونَ اللَّيْلَ مَعْذِرَةً  
ما فِي الخَيَالِ مَجَازٌ كُلُّنَا أَرْقُ

تَصَلَّبَ المَاءُ خَوْفًا أَنْ نُعَانِقَهُ  
لا ماءَ إِلَّا الَّذِي جَادَتْ بِهِ الحَدَقُ

تَوَرَّمَ الغَيْمُ ضَيْقًا مَنْ تَهْتَدِنَا  
وكادَ يَعْصِفُ لَوْلَمْ يَحْدُهُ الفَلَقُ

قَابِيلُ أَوْرَثَتْنَا رِيحَ المُنُونِ دَمًا  
لَوْلَاكَ ما كَانَتِ الأَحْبَابُ تَفْتَرِقُ

## صُنَاعُ الْبِسْمَةِ

عَيْمٌ

تَشَهَّتْ طَلَّهُ الشُّرْفَاتُ  
فَتَوَرَّدَتْ مِنْ نَبْعِهِ الْقَسَمَاتُ

كُنَّا ظَمَاءً قَبْلَهُ

وَالْيَوْمَ قَدْ  
خُبِرَتْ عَلَى أَفْوَاهِنَا الْبِسَمَاتُ

مُدَّ آنَسَتْ شَفَةَ الْيَتَامَى

ضَوْءَهُ

جَفَّتْ عَلَى وَجَنَاتِهِمْ عَبْرَاتُ

نَامُوا بِأَرْصِفَةِ الضِّيَاعِ  
مَتَاهَةً  
تَجْتَا حُ هَدَاةَ نَوْمِهِمْ زَفَرَاتُ

لَا دَمَعَ بَعْدَ الْيَوْمِ  
يَسْلُبُ غِبْطَةً  
مَا دَامَ فِينَا لِلسُّرُورِ دُعَاةُ

صُنَّاعُ بَسَمَتِكُمْ !  
تَرَاءَى فَجْرُهُمْ  
تَعْلُو مَلَامِحَ صُبْحِهِ الضَّحَكَاتُ

حَمَلُوا عَلَى أَكْتَانِفِهِمْ  
أَوْجَاعَنَا  
حَتَّى ذَوَّتْ فِي دَرْبِنَا الْآهَاتُ

هُمَّ يَفْرُشُونَ الْوَرْدَ  
بَيْنَ ضُلُوعِنَا  
لِتُقِيمَ فِينَا عُرْسَهَا الْبَهَّجَاتُ

أَبَارُهُمْ حُفِرَتْ  
بِذَاكِرَةِ الصَّادِي  
سُحْبًا تَحْفُ غُيُومَهَا الْبَرَكَاتُ

هُمَّ يَقْرِضُونَ اللَّهَ  
بَسْمَةَ بَائِسِ  
قَدْ أَوْصِدَتْ فِي وَجْهِهِ الطَّرْقَاتُ

## الوطنُ الورديُّ

زهورٌ نمتَ بين الضلوعِ ورودُها  
وقد سترَ العوراتِ مني بريرها

ورودٌ ألفتُ الحبَّ فيها مجذراً  
تسرَّى بنفسي ربيها وعبيرها

طغتَ أرضها زهواً على طينِ ضفتي  
وخالطَ ماءَ الطبعِ في خريرها

فمنذُ بزوعي والعروقُ تشدني  
إليها أنجذاباً والفؤادُ ظهيرها



أراها بعيني حيث دُرْتُ سَوادها  
أراها يقيناً في مَنامي أزورها

فما غابَ عني طيفُ شنقيطٍ لحظةً  
وأنتَ لنفسي والورودُ غديرها

وكيفَ أرى نوماً بغيبةِ ربِّها  
وكيفَ أرى والطَّرْفُ مني بصيرها ؟

كبيرُ بعينيَّ اسمُها ... رُوحُ مائها  
تتوَعُّ أعراقٍ تعالتْ جُذورها

وَأَعْنَاقُ وَاحَاتٍ تَهَادَى نَخِيلُهَا  
وَخَيْمَةٌ عِزٌّ لَا تُزَاحُ قُدُورُهَا

وَمَدُّ بَجُورٍ سَاحِرٌ لَوْنٌ مَائِهَا  
وَلَيْلَةٌ شَايٍ طَابَ شِعْرًا حُضُورُهَا

أَغَارُ عَلَيْهَا مَنَ شُعَاعِ شُمُوسِهَا  
وَمَنَ لَيْلِهَا ... حَتَّى وَمَنَ مَنَ يَدِيرُهَا

أَغَارُ عَلَيْهَا مَنَ تَبَسُّمِ ثَغْرِهَا  
وَأَحْسُدُ أَثْوَابًا تَلَاشَتْ سُتُورُهَا

وغيماً على أرجائها سحّ وابلأ  
ومتكاً قضى الليالي سريها

فما أنا بالطير الذي باع وكنه  
بحبّ وماءٍ لا... وروحي دثورها

ولا أقبلُ التجريح في عقدِ شعبها  
ولا في تقاليدِ افتخارِ صغيرها

أحبُّ ربي شنقيطاً حباً مجذراً  
ولا أعرفُ الأسباب... إنني أسيرها

## رسائل مُرهقة الأعصاب

أكابدُ الليلَ

علَّ الفَجَرَ يُسَلِّمُنِي

إليكِ ضَوْءاً فَأُحْظَى مِنْكَ بِاللَّمْسِ

أَحْرَقْتُ كُلَّ حَشَاشَاتِي

لَعَلَّ صَدَى

يَعُودُ مِنْكَ يُزِيحُ الْغَمَّ عَنْ حَدْسِي

لَا تُتَكَّرِي بِصَمَاتِ اللَّيْلِ

مُهْمَلْتِي

إِنِّي وَرَغَمَ الْجَفَا مَا غَبَّتْ عَنْ كَأْسِي

أَكَلَمَا لَانَ عُوْدُ مَنْكَ

يَتَّبِعُهُ

مُجَدَّرٌ يَقَطَعُ الْأَمَالَ بِالْيَأْسِ

إِنِّي مُصِرٌّ عَلَى تَكْسِيرِهَا

عَلْنَا

فَلَنْ تُجَدَّرَ إِلَّا حَزَّهَا فَأَسِي

أَحِبُّ فِيكَ عِنَاداً

زَادَنِي وَلَهَا

إِنِّي الْمُغَامِرُ بِالْأَوْقَاتِ وَالنَّفْسِ

أَنَا الَّذِي وَهَبَ

الْأَزْهَارَ مِنْكَ شَذِي

وَقَصَّرَ اللَّيْلَ فِي عَيْنَيْكَ بِالْأَنْسِ

وَبَثَّ «أَفْلَامَهُ» خَدَّيْكَ  
تَسْلِيَةً  
وَحَلَّ رُوحَكَ مِنْهُ مَوْضِعَ الرَّأْسِ

لَا تَتْرَكِينِي  
عَلَى الْأَوْرَاقِ مُرْتَسِمًا  
لَا تُهْمَلِينِي فَإِنَّ الْحَبَّ لَا يُنْسِي

إِنْ كُنْتُ لَا بَدَّ  
مِمَّا أَنْتِ فَاعِلَةٌ  
فَبَلِّئِي بِيَدَيْكَ الرَّمْلَ مِنْ رَمْسِي

## خِيبَةُ بَائِعِ النَّعْنَاعِ

وَأَفْرُ مِنْ ذَاتِي إِلَيْهَا  
عَلَّ صَافِرَةَ السَّرَابِ الْيَوْمَ  
تَمَنِّحُنِي الْعُبُورَ

أَنَا كَادِحٌ  
يَسْتَلُّ مِنْ عَرَقِ الْمَجَازِ عَجِينَهُ  
لِيَدُسَّهُ قُوْتًا بِذَاكِرَةِ الْجِيَاعِ  
مُتَبَلِّلٌ بِخَطِيئَةِ الرِّيحِ الَّتِي نَسَفَتْ وُرَيْقَاتِي  
لِنَافِذَةِ الضِّيَاعِ

\*\*\*

مُتَسَكِّعٌ ... خَلْفِي صِغَارٌ أَرْبَعُونَ  
يُقَشِّرُونَ غِلَافَ أَغْصَانِ الْغَدِ الْمَجْهُولِ ...  
يَنْتَظِرُونِي  
عَلَى أَعُودِ بَعْلَبَةِ الْحُلُوى  
التي مَنِيَّتُهُمْ حِلْمًا بِهَا  
لَكِنَّ خَيْبَةَ شَارِعِ الْقَدَرِ  
اسْتَدَانَتْ كُلَّ نَعْنَاعِي  
فُعِدَّتْ بِلا... ولا ...

قَدَرِي الضِّياعُ  
فهل سَتَبْتَسِمُ الدُّرُوبُ  
لِكَادِحِ خَذَلْتَهُ أَرْصَفَةُ الْحَيَاةِ  
مُعِيرَةً خَطَوَاتِهِ ظِلَّ السَّرَابِ



## تَجَسُّسُ الصُّبْحِ

أَرَاوُدَهَا وَاللَّيْلُ لَمْ يَتَعَسَّسِ  
فَتَمَطَّنِي حَتَّى يَضِحَّ تَنَفُّسِي

وحتى إذا ما الليلُ شابَ ترفعتُ  
وقالتَ بهمسٍ: حانَ ذا... فتأنَّسِ

أما علمتَ أني صبيُّ مُدَلَّلٍ  
ولا أحملُ التَّأخِيرَ خَوْفَ التَّوَجُّسِ

تُخَاطِبُنِي لِمَسَاً وَتَعْرِزُ عُدَّهَا  
فِيَسْلُبُ مِنِّي الْعَقْلَ دُونَ تَلْبِيسِ

هُنَاكَ أَقَوْمُ اللَّيْلِ فِيهَا تَنْفُلَا  
أَدَاعِبُ نَهْدِيهَا وَلِلثَغْرِ أَحْتَسِي

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ مُسْرِعَاً  
سَوَائِعُهُ مَرَّتْ كَرَدَّ التَّنْفِيسِ

فَلَيْتَ زَمَانِي كُلَّهُ كَانَ لِيَلْتِي  
وَلَيْتَ عَلَيَّ الصُّبْحَ لَمْ يَتَجَسَّسِ

## يَدُ الرَّحْمَاءِ

النَّائِمُونَ عَلَى الرَّصِيفِ

سَغَابًا

سَفَكُوا خُطَاهُمْ جِيئَةً وَذَهَابًا

لِيُفْتَشُّوا جَيْبَ الشَّوَارِعِ

عَنْ رُؤْيَى

قَدَرٌ عَلَيْهَا أَنْ تَظُلَّ سَرَابًا

مَدُّوا إِلَى الْغَدِ

مُنْهَكِينَ صُحُونَهُمْ

لَكِنَّهُ عَنْ جُوعِهِمْ يَتَّغَابَى

فَتَغْرِبُوا

خَلْفَ انْحِدَارَاتِ الضِّيَاعِ  
وَلَمْ يَكُونُوا لِحِظَّةِ أَغْرَابَا

لَمْ يَحْلَمُوا

إِلَّا بِفَضْلَةِ لُقْمَةٍ  
لِتَشُدَّ -بَعْدَ فُتُورِهَا- الْأَصْلَابَا

إِنَّ خَانَهُمْ دَرَبُ الْمَتَاهَةِ

أَزْمِنَا

وَأَثَارَ مِنْهُمْ وَخِزُّهُ الْأَعْصَابَا

فَهُنَاكَ غَيْمٌ

لَنْ يَخُونَهُمْ...

يُرِيقُ الْحُبَّ فِيهِمْ جَدُولًا مُنْسَابَا

زُمِرُ مَطَايَاهَا  
قَدْ اتَّخَذَتْ لَهَا  
مِنْ جَبْرِ كَسْرِ الضَّائِعِينَ رِكَابًا

فَتَوَطَّنُوا مِنْهَا الضُّلُوعَ  
لِيَلْبِسُوا  
أَرْوَاحَهُمْ مِنْ عَطْفِهَا أَثْوَابًا

تَبَقَى يَدُ الرَّحْمَاءِ  
تُهْدِي بِسَمَةٍ  
وَعَلَى خَوَاطِرِنَا تَمُرُّ سَحَابًا

## سَيَنْتَفِضُ الْأَقْصَى

إِلَى وَمَتَى هَذَا النَّعَاسُ مُعَرَّبِدُ  
يَلَا حَقْنَا حَيْثُ الظَّلَالُ تَجُولُ !

وَيَحْنَقُ فِينَا الْمَاءَ بَعْدَ مَسِيلِهِ  
وَتُسْتِي لِيَالِيهِ بِنَا وَتَطُولُ

تَعَرَّتْ ضِفَافُ الطَّيْنِ مِنْذُ نَعَاسِنَا  
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الضِّيَاعُ دَلِيلُ

مَيْتَمَةٌ أَنْشَى الْقَدَاسَةَ بَيْنَنَا  
يُصَفِّدُهَا بِالْمَوْجَعَاتِ ذُبُولُ

وَيَصْرُخُ فِيهَا الْجُوعُ مِلَّءَ شِفَاهِهِ  
لِيَسْمَعَ فِيهَا لِلْجَنِينِ عَوِيلُ

وَتَقْرُضُ مِنْ «بَنِكَ» الْمَتَاهَةَ قُوَّتَهَا  
لِتَعْجِنَهُ عَلَّ السُّعَارَ يَزُولُ

مُغْرَبِلَةً حَدَّ التَّعْرِيِ ظِلَالُهَا  
وَلَيْسَ لَهَا غَيْرَ السَّرَابِ كَفِيلُ

وَتَلْهُوُ مَسَافَاتُ التَّشْطِيِّ بِرِيَشِهَا  
لِتُكْشَفَ مِنْ لَذَعِ الدُّرُوبِ سُدُولُ

وَفِي الْقُدْسِ... مَنْ فِي الْقُدْسِ؟  
كُنْهُ قَدَاسَةٌ

تَبَخَّرَ فِيهَا الضُّوْءُ وَهُوَ قَتِيلٌ

تَجَعَّدَ فِي أَكْوَاخِهَا اللَّيْلُ مُعَانًا  
تَمَرُّدُهُ... هَلْ لِلْخِلَاصِ سَبِيلٌ؟

ثَمَانُونَ عَامًا دَرَبُهَا مُتَتَابِبٌ  
تَمِيلُ بِهَا الْأَوْجَاعُ حَيْثُ تَمِيلُ

فَمَاذَا سَنَرَوِي لِلصِّغَارِ أَوْ أَنَهَا  
إِذَا سَأَلُوا !

مَاذَا تُرَى سَنَقُولُ؟



سَيَضْحَكُنَا التَّارِيخُ بَيْنَ سَطُورِهِ  
وَتَسْحَبُنَا صَوَّبَ الْوَرَاءِ ذُيُولُ

سَنَبَقَى نُغْنِي الْقُدْسَ ... نَعَزِفُ لِحَنَهَا  
كَمَا عَزَفَتْ قَمَحَ الْجِيَاعِ حُقُولُ

سَيَنْتَفِضُ الْأَقْصَى - كَمَا الْمَوْجُ - تَأْتِرَا  
وَفِيهِ سَيَعْلُو لِلْحَمَامِ هَدِيلُ

وَيَحْيَا صِلَاحُ الدِّينِ بَعْدَ هُجُوعِهِ  
وَتُسْرَجُ فِيهِ لِلشُّعَاعِ خِيُولُ

النص الفائز في مسابقة شاعر الياسين

النسخة الأولى ٢٠١٩

## أَرْجُو حَةَ الضُّوءِ

لَمَّا تَشَهَّتْكَ السَّمَاءُ

مَلَاكَ

خَطَّتْ بَذَاكَرَةِ الْبِقَاءِ رُؤَاكَ

وَبَكَتْ مَحَارِيبُ النُّضَالِ

نَوَائِحًا

حَتَّى لَهَزَّ نَحَابُهَا الْأَفْلَاكَ

يَا مَنْ تَلَحَّفَتِ النُّبُوءَةَ

بُرْدَةً

فَتَتَاغَمَتَّ أَوْتَارُهَا وَأَسْمَاكََا

وَتَرَانِ

قَدْ وَهَبَا صِفَافَ الطِّينِ

وَجَّهَتَهَا

وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مَلَكََا

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ الْمُخَالِطِ

رَمَلْنَا

الْقُدْسُ... تَسْتَسْقِي عُهُودَ نَدَاكََا

وَمَا ذُنُ الْأَقْصَى  
تَحْشَرُجَ صَوْتُهَا  
لَمَّا تَقَلَّبَ وَرَدُّهَا أَشْوَاكَ

مَنْ لِلْيَتَامَى؟  
بَعْدَ مَا كُنْتَ الْمُنَى  
وَتَعَوَّدْتَ أَحْمَالَهُمْ كَتَّفَاكَ

عَاقَتْ  
عَوَادِي اللَّيْلِ جِسْمَكَ خَلْسَةً  
فَهَلِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُعِيقَ عَطَاكَ؟

يَاسِينُ يَا أَرْجُوحَةَ  
لِحَشَائِشِ  
قَدْ خَضَّرَتْهَا بِالصُّمُودِ يَدَاكَ

مَا زِلْتَ نَافِذَةً  
تُطَلُّ عَلَى الْمَدَى  
وَتَجْسُ فِي الصَّحْرَاءِ أُنْسَ هَوَاكَ

## يا عيدُ رفقا

أفِي شِفَاهِكَ لَحْنٌ مَا سَتُسْمِعُهُ  
أَمْ خَانَ تَتَجِيمَ عَرَّافِي تَوَقُّعُهُ ؟

يَاعِيدُ كَيْفَ يَطِيبُ الرَّقْصُ فِيكَ... وَلَمْ  
تَعُدَّ «لِكَعْكَ» أَمَانِينَا تُوَزُّعُهُ

لَمْ تَدْرِ أَنَّ ابْنَتَ الْفَلَّاحِ ذَاهِلَةٌ !  
فَثَوَّبَهَا الْوَتْرُ لَا زَالَتْ تُرَقِّعُهُ

لَا سَمَعَ فِي كُوخِهَا الضُّفِيِّ غَيْرَ رُؤْيٍ  
إِنْ رَاهَقَ اللَّيْلُ لَمْ تَفْتَأْ تُشَمِّعُهُ

طَاحُونَةُ الْقَمَحِ قَدْ أَدَمَّتْ أَصَابِعَهَا  
فَلَمْ تَعُدْ بِأَلْهَا الْحِنَاءُ تَقَرُّعُهُ

تَلَّكَ الْوَعُودُ الَّتِي قَدْ شَاكَسَتْ دَمَهَا  
إِحْسَاسُ وَالِدِهَا كَانَتْ تُقَطِّعُهُ

لَمْ يَقْتَرِفْهَا سُدَى لَوْلَا مَحَبَّتُهَا  
لَمْ يَمْتَطِ الرِّيحَ إِسْعَاداً تَصْنَعُهُ

لَكِنَّهَا الْبِنْتُ مِنْ أَجْلِ ابْتِسَامَتِهَا  
سَيَفْلَحُ الْغَدَ آمَالاً وَيَزْرَعُهُ

يَأْوِي إِلَى قَطْنِهَا الرُّوحِيَّ إِن تَعَبْتُ  
أَعْصَابُ ضِحَكْتَهُ أَوْ قَدْ مَضَّجَعُهُ

تُحِيلُ فِي شَفَتَيْهِ الصَّمْتِ أَغْنِيَةً  
إِن لَأَمَسَتْ زَفْرَاتِ البُؤْسِ أَضْلَعُهُ

يَا عِيدُ رِفْقاً بِمَنْ ظَنُّوكَ ذَاكِرَةً  
لِلرَّقِصِ... أَيَّامَ كُنْتَ الأَنْسَ تَصْنَعُهُ

لَا تَسْرِقِ المَاءَ لَيْلاً مِنْ جِرَارِهِمْ  
كَفَى الفَقِيرِ ضِياعاً مَا يُرْوَعُهُ



## تراتيل روحية

تَصَوَّفْتُ فِي مِحْرَابِ حُبِّ

مُقَدَّسِ

وَمَنْ قَبْلُ مَا خَلَّتْ التَّصَوُّفَ مُسْعِدًا

فَلَمَّا وَضَعْتُ الْبُرْدَ

فَوْقَ مَشَاعِرِي

تَمَايَلَتِ الْأَغْصَانُ مِنِّي تَأْوُدًا

خَلَعْتُ حِذَائِي

وَأَنْحَنَيْتُ مَحَبَّةً

عَسَايَ أُصَلِّي فِي هَوَاهُ تَعَبُّدًا

عساي أداني الظلّ

بين ضفافه

عساي بواديه أحوم مُفردًا

علا شفّتي الرقص

من بسماته

وقبل هواه كدت أن أتجمدًا

أضاء مشاعيل القداسة

في دمي

ولأغزو كلُّ النور منه تَوَلَّدًا

تميدُ القوافي

إنَّ مَدَحْتُ مُحَمَّدًا

وَيُبْحِرُ شِعْرِي فِي هَوَاءِ تَمَدِّدًا

ولولا ابتسامُ المصطفى

ما تَبَسَّمتَ

شفاهُ الصَّحاريِّ بَعْدَ أَنْ كُنَّ جُرْدًا

وَيَوْمَ نَزَلَتْ الْأَرْضَ

بُلَّتْ شَفَاهُهَا

وَدَبَّ نَسِيمُ الْحَبِّ فِيهَا مُجَدِّدًا

ولولا صِراطٌ  
جِئْتَ هَدِيًّا تُبِيرُهُ  
تَلَبَّدَتِ الطَّلَمَاءُ فِيْنَا تَلْبُودًا

ولا زارَ ماءُ الوَرْدِ  
حَقَلَ قلوبنا  
ولا جَفَّ عَرَقُ الغلِّ فِيْنَا لِنَسْعَدَا

تَلَّأَتِ الدنِيا  
ومادَتْ زُهورها  
مُحِيبةً لَأَلَاكَ والحُبُّ غَرَدًا

وَمَا أَنَا إِلَّا طَائِرٌ  
شَامٌ غَيْبٌ...  
تَصَيَّدَنِي رِيَاهُ فِي مَا تَصَيَّدَا

عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ  
كُلُّ هُنَيْهَةٍ  
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا السَّمْعُ أُوقِدَا

## اسْتَدْعَاءٌ لَتَهْلُلُ أَسَارِيرَ الْغَيْثِ

(بُستَانُ الطُفُولَةِ كَلِمَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ  
تَدَلَّتْ فَوَاكِهِ قِصَصِ أُمِّي -  
عَنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ - رَطْبَةٌ شَهِيَّةٌ)

جَفَّنُ الرُّؤْيَى لَمْ يُغْرِهِ إِحَاؤُهُ  
فَتَضَاعَلَتْ فِي خَطْوِهَا أَصْدَاؤُهُ

هُوَ شَاعِرٌ ظَنَّ الْقَصِيدَةَ لُعْبَةً  
يَلْهُو بِهَا أَنَّى تَشَأْ أَهْوَاؤُهُ

لَمْ يَسْتَفِقْ مِنْ تَيْهِهِ إِلَّا وَقَدْ  
جَازَ الْحُدُودَ تَعْرِقًا خِيَلًاؤُهُ

عَجَبًا لِتَفَاحِ الْقَصِيدِ !  
مَتَى أَرَاهُ  
وَلَا يُثِيرُ شَهِيَّتِي إِغْوَاؤُهُ ؟

\*\*\*

شَجَرُ الطُّفُولَةِ وَاحَةٌ خَضْرَاءُ... كَمْ  
قَدْ طَابَ فِيهَا لِلْفُؤَادِ غِنَاؤُهُ !

أَوِي إِلَى جُبِّ الْحِكَايَاتِ الَّذِي  
مُلِئَتْ بِعَطْفِ الْأُمَّهَاتِ دِلَاؤُهُ

لَمْ أَنْسَ شَهْدَ حَدِيثِ أُمِّي... كَيْفَ لِي  
نَسْيَانُ يَنْبُوعِ «تَكَوُّثَر» مَاؤُهُ !

قَصُّ لَهَا غَمَرَتْ بِطَاحِ تَخِيلِي  
فَاعْشَوْشَبَتْ بِغُيُومِهَا صَحْرَاؤُهُ

لَمْ تَحْكِ عَنِ بَيْتِ النَّبُوءَةِ لِحَظَّةً  
إِلَّا تَمَلَّكَ حِسَّهَا اسْتِدْعَاؤُهُ

مِنْ فَرَطِ إِنْصَاتِي الزَّمَانَ أَخَالُهُ  
قَدْ لَفَّهُ مِنْ حَوْلِنَا إِصْغَاؤُهُ



تَعْلُو مَلَامِحَ وَجْهَهَا - إِذْ كُئِمًا  
زَارَتْ رِيَاضَ خَدِيجَةَ - أُنْدَاؤُهُ

تَلَّكَ الْحَدَائِقُ قَدْ تَنَامَى زَرْعُهَا  
مُذْ كَانَ فِي كَفِّ النَّبِيِّ سِقَاؤُهُ

عَادَتْ قَوَافِلُهَا مُحَمَّلَةً بِمَا  
فَاقَ التَّوَقُّعَ وَالْخَيَالَ جَدَاؤُهُ

فَانْتَابَهَا ظَمًا الْفُضُولِ... وَكَانَ فِي  
إِخْبَارِ مَيْسَرَةٍ لَهَا إِرْوَاؤُهُ

أَوْصَافُهُ اخْتَرَقَتْ زُجَاجَ حُضُورِهَا !  
لَمَّا حَكَى: -وخطى الأمينِ حُدَاوَهُ-

كَانَ الْغَمَامُ بِسَاطِ حَقْلِ أَبْوَةٍ  
تَحَنُّو عَلَيْهِ بِعَطْفِهَا أَفْيَاوَهُ

كَشَفَتْ عُيُونُ الدَّيْرِ عَنْ سِرِّ لَهُ  
سَيُغِيظُ عَتَمَةَ لَيْلِنَا إِفْشَاوَهُ.

فَتَحَّتْ رَوَايَتُهُ نَوَافِذَ قَلْبِهَا  
فَتَشَبَّعَتْ بِمُحَمَّدٍ سَوْدَاوَهُ

عَمَدَتْ نَفِيسَةً لاسْتِمَالَتِهِ

إِلَيْهَا

بَعْدَمَا اكْتَنَفَ الْجَنَانَ حَيَاؤُهُ

عَرَّشُ السَّنِينِ أَمَامَ حُبِّهِمَا انْحَنَى

لِلطُّهْرِ... وَاغْتَنَقَ الْبِيَّاضَ لِحَاوَاهُ

كَانَا اصْطِيفَاءً لِابْتِسَامَةِ كَوْكَبِ

مَرًّا بِخَاطِرِهِ فَزَالَ شَقَاؤُهُ

فَتَحَتْ ذَرَاعِيَّهَا لَهُ لَمَّا أَتَى  
وَجَبِينَهُ بَادٍ عَلَيْهِ عَنَاؤُهُ

مِنْ رَهَبَةِ الْقَبَسِ الْمَلَائِكِيِّ الَّذِي  
وَحْيًا تَكْشَفُ فِي حِرَاءِ سَنَاؤُهُ

بُشْرَاكَ: لَا يُخْزِيكَ رَبُّكَ... مُعْجَمٌ  
بَهْرَ الصَّحَائِفِ وَالْمِدَادِ ثَرَاؤُهُ

صَحْبَتُهُ لِلْعَمِّ الْحَكِيمِ  
فَقَالَ:

فِي كُتُبِ الْبَشَائِرِ سَطَّرَتْ أَنْبَاؤُهُ

سَبَقَتْ شِفَاهَ الْوَارِدِينَ لِنَهْرِهِ  
فَلَقَدْ أَزَالَ صَدَى الْوُجُودِ صَفَاؤُهُ

مِفْتَاحَ بَيْتِ فِي الْجِنَانِ تَسَلَّمَتْ  
وَسَلَامَ رَبِّ سَرَّهَا إِقْرَاؤُهُ

\*\*\*

عَاشَتْ تَشُدُّ نِطَاقَ دَعْوَتِهِ  
وَبَسَّمَتْهَا  
مَرَاغِي قَلْبِهِ وَهَنَاؤُهُ

لَمْ يُدْخِلِ امْرَأَةً مَسَاحَةَ فِكْرِهَا  
فَعَلَى امْتِدَادِ الدَّرْبِ ظَلَّ وَفَاؤُهُ

مَطَّرُ العَوَاطِفِ حِينَ أَبْصَرَ عِقْدَهَا  
اِكْتَضَّ بِالْغَيْمِ الوَدِيعِ فَضَاؤُهُ

أَجْرَاسُ ذِكْرَاهَا بِرَجْعِ حَدِيثِهِ  
الْحَانُهَا مِنْهَا تَغَارُ نِسَاؤُهُ

شَمَعُ الحُرُوفِ أَمَامَ فَجْرِ سَطُوعِهَا  
سَيَظَلُّ رَهْنًا لِلْخُفُوتِ ضِيَاؤُهُ

7	إهداء
9	دراسة مقارنة في ديوان «ألحان مائيّة الإيقاع»
31	حَنْجَرَةُ الْفَرَاغِ
34	احْتِطَابٌ لِمَوْقِدِ السُّؤَالِ
37	بَرِيدٌ ضَائِعٌ
40	رُوحُ الْمَكَانِ
42	تَلْوِيحَةٌ مِنْ نَافِذَةِ الْفَجْرِ
45	انْشِطَارٌ
47	قِرَاءَةٌ فِي مُعْجَمِ الْأَحْدَاقِ
49	مُتَحَفُ الذِّكْرِى
55	السُّفْرُ الْمَائِيّ
63	شَاطِئُ الضِّيَاعِ
66	احْتِضَارٌ
68	صُنَاعُ الْبَسْمَةِ
71	الْوَطْنُ الْوَرْدِيُّ
75	رسائل مُرَهَقَةُ الْأَعْصَابِ

رقم الصفحة

محتوى الديوان

78	..... خيبةُ بَائِعِ النَّعْنَاعِ
80	..... تَجَسُّسُ الصُّبْحِ
82	..... يَدُ الرَّحْمَاءِ
85	..... سَيِّتَتَقْضِ الْأَقْصَى
89	..... أَرْجُوْحَةُ الضَّوِّءِ
93	..... يَا عَيْدُ رِقْقاً
96	..... تراتيل روحية
101	..... اسْتَدْعَاءُ لَتَهْلِلِ أَسَارِيرِ الْغَيْثِ



